في استقبال العام الجديد

الجمعة ٣٠ من ذي الحجة ١٤٣٥هـ - ٢٤ من أكتوبر ٢٠١٤م

أولا : العناصـــــر:

١- قيمة الزمن في القرآن الكريم والسنة المطهرة.

٢- هدى النبي (صلى الله عليه وسلم) في استقبال الشهور والأعوام .

٣- الأمم الراقية تدرك قيمة الوقت ، فبه يغير تاريخ الأمم والحضارات .

٤- أهم الدروس المستفادة من ذكريات العام الماضي .

٥- أهم التمنيات للأمة والوطن في العام المقبل .

ثانياً : الأدلـة :-

الأدلـة من القرآن الكريم :

١- قال تعالى :{ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ } (التوبة: ٣٦).

٢- وقال تعالى :{ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً }(الإسراء : ١٢) .

٣- وقال تعالى: {وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ} [الفجر: ١، ٢].

٤- وقال تعالى: {وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى} [الضحى: ١، ٢].

٥- وقال تعالى :{ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ }(سورة العصر كاملة).

٦- وقال تعالى :{ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ * وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ }(المدثر : ٣٣ ، ٣٤).

٧- وقال تعالى :{ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ * وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ} (التكوير : ١٧ ، ١٨) .

٨- وقال تعالى : {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ }(القصص : ٧٧).

٩ – وقال تعالى :{ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}(التوبة : ١٠٥).

١٠-وقال تعالى :{ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُون}(الحشر : ١٨) .

١١- وقال تعالى :{ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ } (إبراهيم : ٥) .

١٢- وقال تعالى :{ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ }(فصلت : ٥٣) .

الأدلة من السنة:

١- عن طلحة بن عبيد الله (رضي الله عنه) أن النبي) صلى الله عليه و سلم) كان إذا رأى الهلال قال: «اللَّهُمَّ أَهِلَّهُ عَلَيْنَا بِالْيُمْنِ وَالْإِيمَانِ، وَالسَّلَامَةِ وَالْإِسْلَامِ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ»[سنن الترمذي .]

٢- وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه و سلم) لرجل و هو يعظه : «اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ : شَبَابَكَ قَبْلَ هِرَمِكَ ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاءَكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ»[المستدرك للحاكم].

٣- وعن عَنْ صَخْرٍ الْغَامِدِي(رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِ (صلى الله عليه وسلم): قَالَ «اللَّهُمَّ بَارِكْ لأُمَّتِى فِي بُكُورِهَا» وَكَانَ إِذَا بَعَثَ سَرِيَّةً أَوْ جَيْشًا بَعَثَهُمْ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ. وَكَانَ صَخْرٌ رَجُلاً تَاجِرًا وَكَانَ يَبْعَثُ تِجَارَتَهُ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ فَأَثْرَى وَكَثُرَ مَالُهُ)[أخرجه الأربعة واللفظ لأبي داود].

٤- و عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ (رضي الله عنه) قَال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»[أخرجه مسلم].

٥- و عن كَعْبِ بن عُجْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: مَرَّ عَلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم) رَجُلٌ، فَرَأَى أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ جِلْدِهِ وَنَشَاطِهِ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: لَوْ كَانَ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى وَلَدِهِ صِغَارًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَبَوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ يُعِفُّهَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ رِيَاءً وَمُفَاخَرَةً فَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ»[أخرجه الطبراني].

٦- وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قَالَ«أَوْصَانِي خَلِيلِي بِثَلاَثٍ لاَ أَدَعُهُنَّ حَتَّى أَمُوتَ: صَوْمِ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ وَصَلاَةِ الضُّحَى وَنَوْمٍ عَلَى وِتْرٍ»[أخرجه البخاري].

ثالثًا- الموضـــــــوع :

إن من سنن الله (عز وجل) في الكون اختلاف الليل والنهار ، وتعاقب الشهور والأعوام ، وأن كل يوم يمر على الإنسان – هو جزء من حياته– سيكون شاهداً له أو عليه ، فما من يوم إلا وينادى: يا بن آدم أنا يوم جديد وعلى عملك شهيد فاغتنمني فإن غابت شمسي لن تدركني إلى يوم القيامة ، فالإنسان بين أجلين : أجل قد مضى لا يدرى ما الله فاعل فيه ، وأجل باقٍ لا يدرى ما الله قاضٍ فيه ، والعاقل من يأخذ من شبابه لشيبته ، ومن صحته لسقمه ، ومن دنياه لآخرته ، ولقد بين القرآن الكريم للمسلم عدة شهور السنة الهجرية قال الله تعالى: " إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ[التوبة :٣٦].

وقد علمنا النبي صلى الله عليه وسلم كيف نستقبل الشهور والأعوام، ففي الحديث الذي رواه الإمام الترمذي رحمه الله بسنده من حديث طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم) كان إذا رأى الهلال قال : " اللهم أهله علينا باليمن والإيمان والسلامة والإسلام ربي وربك الله " فيعلمنا النبي صلى الله عليه وسلم استقبال الشهور والأعوام بالأمل في غدٍ أفضل من خلال طلبه من ربه أن يبدأ الشهر (باليمن والسلامة والإيمان والإسلام ربي وربك الله) وهي إشارة إلى أن رب

الهلال الذي يرمز إلى الزمن هو الله وهو القادر على تغيير حال المسلم إلى الأفضل في الدنيا وكذا في الآخرة .

ولقد لفت القرآن الكريم أنظارنا تجاه قيمة هذا الزمن وأهمية استثماره ، فتبرز قيمة الزمن عند الله في كونه من جملة ما أقسم به الله تعالى ولا يقسم الله عز وجل إلا بما هو عظيم ومكين عنده سبحانه وتعالى فتطالعنا أوقات كثيرة يقسم الله عز وجل بها ليبرز أهميتها ، وحث المجتمع المسلم على اغتنامها ، ومن هذه الأوقات الشريفة : قوله تعالى :{وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ } (تنبيهًا للمسلمين بألا يبدأوا يومهم من طلوع الشمس؛ بل من طلوع الفجر ، ذلكم الوقت الشريف المبارك بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم لمن بكّر باستقبال يومه وبدأه بطاعة ربه ، فقد روي الإمام الطبراني رحمه الله بسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "بورك لأمتي في بكورها"، وقد أقسم الله تعالى بوقت الضحى فقال تعالى:{ وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى } تنبيهًا لشرف هذا الزمان وما ينبغي أن يفعل فيه ، فقد أوصى رسولنا صلى الله عليه وسلم الأمة في شخص سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه حيث قال في الحديث الذي رواه الإمام البخاري رحمه الله بسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: أَوْصَانِي خَلِيلِي بِثَلاَثٍ لاَ أَدَعُهُنَّ حَتَّى أَمُوتَ : صَوْمِ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ، وَصَلاَةِ الضُّحَى ، وَنَوْمٍ عَلَى وِتْرٍ ولا يوصي الخليل خليله إلا بما هو غالٍ وله مكانة في قلبه.

كما أقسم الله تعالى بوقت قد يشغل بعض المسلمين عنه وهو وقت العصر ، فقال تعالى: {وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} تنبيهًا لعدم تضييع الآخرة بالانشغال بالدنيا ، وتلك هي الوسطية الربانية التي أرسى الله تعالى معالمها للأمة الإسلامية بألا ينغمس الإنسان في الدنيا فتكون شغله الشاغل ، ولا يصرف نفسه بالكلية عن الدنيا ويحرمها على نفسه ؛بل يتزود من الدنيا للآخرة يأخذ نصيبه منها ولا يجور على نصيب الآخرة فقال تعالى مرشدًا المجتمع المسلم:{وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ}[القصص:٧٧].

وقد أقسم الله تعالى بأجزاء كثيرة من النهار تنبيهًا لحسن استثمارها، واستضافة كل يوم يمر عليك بما يمكن أن يدر بالنفع على المسلم ولذا فقد أوصى الصالحون أن :"نهارك ضيفك فأحسن إليه، فإنك إن أحسنت إليه ارتحل بحمدك، وإن أسأت إليه

ارتحل بذمك وكذلك ليلتك"، فعلى المسلم أن يحسن الاستفادة من هذا الضيف الكريم الذي إذا رحل لن يُعوَّض ولن يأتي إلى يوم القيامة .

لقد بين لنا النبي صلى الله عليه وسلم أن الناس فى غفلة عن هذه النعمة نعمة الزمن واستثماره فى النافع المفيد، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ " [صحيح البخاري]، فالصحة تاج على رؤوس الأصحاء وقد وهبنا الله تعالى نعمة الحياة ومدَّ فى أعمارنا عاما بعد عام حتى أدركنا هذه الأوقات المباركات ، والفراغ هذا الوقت الذى نحيا فيه ونعيش كيف يمكن أن يستثمر الإنسان عمره ويجعله عمرًا مباركًا من خلال الاستفادة من الزمن فيما يعود عليه بالربح الوفير ، ويعود على مجتمعه ووطنه الذي يعيش تحت ظلاله بالتقدم والازدهار والرقي ، فقد روي الحاكم رحمه الله بسنده من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم لرجل وهو يعظه: " اغتنم خمسا قبل خمس : شبابك قبل هرمك و صحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك و فراغك قبل شغلك و حياتك قبل موتك " .

إنه يُعلّم المجتمع المسلم أن يغتنم هذه الأمور الخمسة التي على رأسها اغتنام أخصب فترة من فترات عمر الإنسان وهي فترة الشباب والفتوة التي بها يصنع الشاب مستقبله ، ويغير وجه الأرض بساعديه وفكره المستنير ، ويرفع قدره عند ربه يوم القيامة ، ويعود بالخير العميم على وطنه بما قدم من أعمال محافظًا على عمره وشبابه واغتنامه فيما ينفع ويفيد الإنسانية من خلال ما فتح الله له من آليات وظفها كما ينبغي أن توظف ، وفهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قيمة الوقت فقد قدروه حق قدره ، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : (إني لأكره أن أرى الرجل سبهللا – فارغًا – لا في عمل الدنيا ولا في عمل الآخرة) [المقاصد الحسنة للسخاوي].

ويقول ابن القيم رحمه الله : إن إضاعة الوقت أشد من الموت ، لأن إضاعة الوقت تقطع عن الله والدار الآخرة ، والموت يقطع عن الدنيا وأهلها) ناهيك عما دونه بعض أهل العلم من هدي للنبي (صلى الله عليه وسلم) فيما ينبغي للمسلم فعله في اليوم والليلة من ذكر واستثمار للوقت في أعمال الطاعة وقضاء حوائج الناس بما يثمر نفعًا وخيرًا وبرًا وغيرها التي تبين منهج الإسلام في الاستفادة من الوقت ، فاليوم أو الليلة آية من آيات الله ينبغي الحفاظ عليها ، قال تعالى:{وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ

فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا }[الإسراء:١٢]، والمسلم الفطن هو من يحسن استخدام نهاره الذي هو جزء منه فيضيف إلى رصيد حسناته ومآثره فيه بقدر ما يستطيع من أعمال وفق طاقته وقدراته التي وهبه الله تعالى إياها ، وكذا يستثمر ليله في الاستعانة به على ما يلاقيه من متاعب طوال ليله وهذا ما رسمه الحق تبارك وتعالى للمسلم من جعل الليل سكنًا وراحة والنهار معاشًا وجدًا ونشاطًا فقال تعالى: " وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا * وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ([النبأ : ١٠ ، ١١] وقال تعالى: " وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا " [الفرقان:٤٧] .

ومع استقبال العام الهجرى الجديد يحاسب المرء نفسه ويراجعها ، فيقف على ما قصرت فيه نفسه فيستدرك ما قصر فيه ، وما قام به من عمل صالح فيدوام عليه ،فإن المؤمن فى رباط دائم ،وصبر ومصابرة وجهاد ومجاهدة مع النفس والشيطان قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}[آل عمران:٢٠٠] .

ومع محاسبة النفس أولا بأول يستطيع المؤمن أن يسعد فى حياته وآخرته ويحظى برضوان الله تعالى، ومن كان هذا حاله مع نفسه فهو الذكى العاقل، فعَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ"[سنن الترمذي].

ولقد كان عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، يكتب إِلَى بَعْضِ عُمَّالِهِ، فَكَانَ فِي آخِرِ ما يكتب: " أَنْ حَاسِبْ نَفْسَكَ فِي الرَّخَاءِ قَبْلَ حِسَابِ الشِّدَّةِ، فَإِنَّهُ مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ فِي الرَّخَاءِ قَبْلَ حِسَابِ الشِّدَّةِ عَادَ مَرْجِعُهُ إِلَى الرِّضَا وَالْغِبْطَةِ وَمَنْ أَلْهَتْهُ حَيَاتُهُ وَشُغْلُهُ بِهَوَاهُ عَادَ مَرْجِعُهُ إِلَى النَّدَامَةِ وَالْحَسْرَةِ، فَتَذَكَّرْ مَا تُوعَظُ بِهِ لِكَيْ تَنْتَهِيَ عَمَّا يُنْتَهَى عَنْهُ "[شعب الإيمان]

إن الأمة التى تستثمر وقتها وتحاسب نفسها لهى أجدر بالقيادة والريادة والخيرية، وهكذا حال الأمة الإسلامية التي نهلت من رسولنا صلى الله عليه وسلم وصنعت على هديه ، فقد صنعت حضارة غيرت وجه التاريخ ، تستلهم منها كل الأمم منطلقاتها نحو التقدم والرقي في شتى فروع العلم والمعرفة : في الطب ، والهندسة ، والصيدلة ، والفلك ، وكل العلوم الإنسانية ، ناهيك عن العلوم الدينية التي كانت منطلقات لهذه العلوم

والمعارف قال تعالى: " وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ "[الأنعام: ٨٨] وقال تعالى":سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ " [فصلت:٥٣].

ومن ثم فإن الأمم الراقية صاحبة الحضارة هي التي اتخذت من الوقت قيمة عظمى وأعلت دور العلم والعلماء ، وأجزلت الأجر للعاملين فنهضت وارتقت وصارت على رأس الأمم .

وعليه ونحن نستقبل عامًا هجريًا جديدًا علينا أن نحاسب أنفسنا بعد انقضاء عام هجري بكل ما كان فيه من تقصير في جنب الله وفي حق وطننا ، ومجتمعنا المسلم ، ومجتمعنا الإنساني كله ، وما حدث في هذا العام من إساءة في عرض صورة هذا الدين السمح الوسطي المعتدل ، وبكل ما أثاره هذا العرض السيء من غير المتخصصين من تفرق واختلاف دبّ في المجتمع المسلم ، ناهيك عن آثار هذا التدين الشكلي من تخلف اقتصادي واجتماعي وثقافي وفكري محاولة من أعداء المسلمين لاستنزاف طاقات علماء الأمة في الرد على مثيري هذا الفكر المتطرف المتشدد يمنة أو يسرة ، ومحاولة شغلهم عن إيجاد حلول جذرية للقضايا المصيرية للأمة الإسلامية عملا بقوله تعالى: "...ما فرطنا في الكتاب من شيء..." .

فإذا أردنا أن نحسن استقبال هذا العام الهجري الجديد فعلينا أن نعلي قيمة الوقت في حياتنا اليومية ، لأنه هو الحياة ، وعلى الأمة أن تفسح المجال لعلمائها الأزهريين المتخصصين في حقل الدعوة لعرض التدين الحقيقي الذي لا غلو فيه ولا تطرف بمنهج وسطي رباني معتدل يمنح المسلم الفرصة لقيادة البشرية إلى تعبيدها لله رب العالمين وتعميرها لكونه الفسيح .

فمع بداية العام الجديد نتمنى ألا يكون حبنا لديننا أو وطننا حباً أجوف ، حبَ أخذ لا حب عطاء، ولا حتى تبادل حقوق وواجبات ، إننا نريد أن نتجاوز هذه المراحل من ادعاء حب الأوطان إلى حب حقيقي يقوم على التضحية في سبيل الوطن ، والعمل لأجل إنقاذه من كبواته وعثراته ، سعياً إلى تقدمه ورقيه ، وأن يبدأ كل منا بنفسه ، ولنا في رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أسوة حسنة ، فيروي الترمذي رحمه الله بسنده من حديث حذيفة ابن اليمان رضي الله عنه أن النبي (صلى الله عليه وسلم)

قال: " لا تكونوا إمعة تقولون : إن أحسن الناس أحسنا ، وإن ظلموا ظلمنا ، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساؤوا فلا تظلموا " وبخاصة أن حق الدين وحق الوطن يدفعان إلي العمل لا إلى الكسل ، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه أحمد رحمه الله بسنده من حديث أنس ابن مالك (رضي الله عنه):" إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليغرسها " .

وقد روي الطبراني رحمه الله بسنده من حديث كَعْبِ بن عُجْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: مَرَّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ، فَرَأَى أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ جِلْدِهِ وَنَشَاطِهِ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: لَوْ كَانَ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ):"إِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى وَلَدِهِ صِغَارًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَبَوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَإِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ يُعِفُّهَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ رِيَاءً وَمُفَاخَرَةً فَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ".

وأقول لكل متخصص في غير العلوم الشرعية أنت على ثغرٍ من ثغور الإسلام وداعية في تخصصك ، فالطبيب سيسأل عن الناحية الطبية للأمة ، والمدرس سيسأل عن الناحية التربوية لأبناء الأمة ،وأستاذ الجامعة سيسأل عن الناحية الفكرية والعلمية للأمة ، والفلاح سيسأل عن إطعام الأمة كلٌ في مجاله داعية ، فلو انشغل كلٌ منا بمجاله وتخصصه الذي وضعه الله فيه، وأدى دوره كما ينبغي ، فسيؤدي ذلك إلى طفرة علمية هائلة نرجع بها إلى ما كان عليه سلفنا الصالح ونكون مجتمعًا متكاملا لا متصارعًا ، ونكون مجتمعًا منتجًا لا مستهلكًا ، ونكون مجتمعًا متوحدًا على إعلاء المصلحة العليا للوطن فنبنيه ونعمّره ونرتقي به ونجمّله ، نأمل في مجتمع يكفل غنيه الفقير ، ويحترم الصغير فيه الكبير ويحنو فيه الكبير على الصغير ، فيصدق فينا الوصف الذي وصف به النبي صلى الله عليه وسلم المجتمع المؤمن فيما رواه الإمام مسلم رحمه الله بسنده من حديث النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه قَالَ : " قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): "مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى"، ونكون على رأس الأمم لا في ذيلها، ونكون بحق وجهة مشرفة لدين الله عز وجل وترجمة عملية للدين الإسلامي الحنيف ، ويدخل الناس في دين الله أفواجًا لما يرونه من صورة مشرقة للإسلام عبادة ومعاملة وسلوكًا حضاريًا في شتى المجالات وتحت أي ظروف وملمات .

فعلينا إذا أن نستقبل هذا العام الهجري الجديد بروح مفعمة بالإيمان ، يدفعها الأمل إلى بذل الجهد والمزيد من العمل في كل المجالات ، ولنراجع ما فات فنجبر التقصير ونثمن النجاح ونستثمر الوقت ، ونحافظ على الإنجاز ، ونتآلف ونتحاب لنسعد بالفوز برضواب الله عز وجل.